معركة الجزائر بين استراتيجية الثورة الجزائرية وجرائم الاستعمار الفرنسي

• أ. رانيا مخلوف •

تاريخ الارسال: 31/ 8/2023 تاريخ القبول: 26/ 10/2023 تاريخ النشر: 31/ 12/2023

المستخلص:

تتناول هذه الدراسة إحدى أهم الأحداث التي عرفتها الثورة الجزائرية في مسارها، وهي الأحداث الثورية التي جرت وقائعها بمدينة الجزائر في نهاية **1956** إلى غاية نهاية **1957**، هذه الأحداث التي عرفت فيما بعد في الكتب التاريخية بـ: "معركة الجزائر" هذه الأخيرة التي جسدت استراتيجية الثورة الجزائرية التي جاءت في بيان أول نوفمبر **1954** وهي الثورة الشاملة، لقد جاءت أحداث هذه المعركة في سياق التطور الكبير الذي حققته الثورة الجزائرية في هذه المرحلة في جميع الميادين، بحيث أضحت جبهة التحرير الوطني الممثل الشرعي الوحيد المتحدث باسم الشعب الجزائري، وأصبحت بذلك الثورة الجزائرية ثورة واضحة المعالم والأهداف تتكيف مع كل التطورات وتخوض معاركها وفق استراتيجية متعددة المظاهر والميادين، وفي هذا السياق كان من أهم قرارات مؤتمر الصومام أن دعا إلى وجوب نقل الثورة إلى مدينة الجزائر وتحويل هذه الأخيرة إلى عاصمة للمقومة بعد ان كانت عاصمة للاستعمار وبالتالي تهديد هذا الاخير في الاماكن التي طالما ادعى انها امنة الامر الذي جعل قوات الجيش الفرنسي ترتكب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية من أجل القضاء على النشاط الثوري بها، غير أن تداعيات أحداث هذه المعركة كانت إعلانا بفشل ذريع للجيش الفرنسي في مواجهته للثورة بهذه المدينة.

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائر؛ استراتيجية الثورة؛ مدينة الجزائر؛ الاستعمار الفرنسي؛ جرائم الجيش الفرنسي

Abstract:

This study deals with one of the most important events known to the Algerian revolution in its course, which are the revolutionary events that took place in the city of Algeria at the end of **1956** until the end of **1957**, these events that were known later in the historical books as: "The Battle of Algeria", this last one that embodied the strategy of the revolution The Algerian revolution that came in the statement of the first of November **1954**,which is the comprehensive revolution. The events of this battle came in the context of the great development achieved by the Algerian revolution at this stage in all fields. So that the National Liberation Front became the only legitimate representative and spokesman for the Algerian people, and thus the Algerian revolution became a revolution with clear features and objectives that adapts to all developments and fights its battles according to a strategy that has multiple appearances and fields, and in this context, one of the most important decisions of the Soumam Conference was that it called for the necessity of transferring the revolution to The city of Algeria and the transformation of the latter into the capital of the resistance after it was the capital of colonialism and thus threatening the latter in places that had long claimed to be safe, which made the French army forces commit war crimes and crimes against humanity in order to eliminate revolutionary activity there, but

• استاذة محاضر بالمدرسة العليا للأساتذة بوزريعة-الجزائر

makhloufi.rania@ensb.dz

the repercussions of the events of this battle were Announcing the catastrophic failure of the French army in confronting the revolution in this city

Keywords: The Algerian revolution; The strategy of the revolution; The city of Algiers; French colonialism; The crimes of the French army

المقدمة:

لقد كان لمدينة الجزائر دورا كبيرا في مسار الثورة التحريرية، وكان لدورها هذا صبغة مميزة من حيث أنها كانت منطقة مميزة هي الأخرى، بحيث كانت تعتبر عاصمة إدارة الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ومركز تجمع المؤسسات السياسية والإدارية والاقتصادية وكذا العسكرية، كما كانت تشكل أكبر تجمع سكاني نصفهم من الجزائريين والنصف الآخر من المعمرين، وإلى جانب هذا كانت مدينة الجزائر تمثل منطقة تجمع النشاط السياسي لمختلف التيارات السياسية والجزائرية، كل هذا يبين أهمية مدينة الجزائر كمنطقة استراتيجية وحساسة ليس فقط بالنسبة للاستعمار الفرنسي فقط بل أيضا بالنسبة للثورة التي أولت اهتماما كبيرا لجعل مدينة الجزائر ضمن استراتيجيتها العامة في المقاومة ويتجلى ذلك من خلال في كونها كانت ضمن المناطق التي شهدت عمليات ليلة أول نوفمبر 1954.

ومن خلال التصعيد الكبير الذي شهدته المدينة من نشاط ثوري بعد مؤتمر الصومام حيث تحولت إلى عاصمة للثورة الجزائرية، وقد جاء ذلك انسجاما مع المبادئ الثورية التي رسمها بيان أول نوفمبر بهدف خلق أجواء الرعب وإلا أمن ضد الاستعمار وبالتالي ضرب كبريائه باعتبار مدينة الجزائر كانت تمثل رمز قوته العسكرية، فضلا عن كونها كانت منطقة جد حساسة من خلال وجود مختلف المؤسسات السياسية والإدارية وكذا الاقتصادية وحتى العسكرية، لذلك عملت السلطات الفرنسية كل ما في وسعها لجعلها منطقة هادئة، في حين كان عملت جبهة التحرير على نقل الثورة إلى العاصمة وتحويلها إلى قلعة من قلاعها. ترى إلى مدى كانت حرب المدن في الثورة الجزائرية استراتيجية فاعلة في مواجهة قوات الاستعمار الفرنسي وبالتالي أضعافه عسكريا وسياسيا؟ وفيما تمثلت هذه الاستراتيجية وماهي السبل والسياسة التي واجه بها الاستعمار الثورة الجزائرية في هذه المعركة؟ وماهي تداعيات كل ذلك على مستقبل الاستعمار الفرنسي بالجزائر؟

1/ استراتيجية حرب المدن في الثورة الجزائرية

تعتبر ثورة روسيا التي حدثت سنة 1917 والتي تعد من أهم الثورات الشعبية داخل المدن، وأضحت بعد ذلك مرجعية للثورات الشعبية في مواجهة أنظمة الحكم الدكتاتورية والأنظمة الاستعمارية ، ومع ذلك فإن أسبابها المباشرة بدأت باشتداد التزاحم على الخبز، ثم تطور ذلك إلى اضطرابات في بعض المؤسسات العمومية، لينتهي الأمر إلى خروج الشعب في "بطر غراد" في مظاهرات شعبية عارمة ظلت لعدة أيام(الان، مورجيد، 1960، ص154)، ومع ظهور حركات التحرر في العالم بعد ذلك، أصبحت حرب الشوارع إحدى الاستراتيجيات التي اتبعتها المقاومات الشعبية في كفاحها المسلح، خاصة وأن الحركات التحريرية كانت

أضعف من القوات الاستعمارية من حيث الإمكانات العسكرية، الأمر الذي جعلها تستغل كل الوسائل في كفاحها وتنتهج استراتيجية المواجهة الشاملة دون إهمال أي جانب من جوانب المقاومة(Roger,Trinquier, 1961, p11).

كما تعتبر المقاومة الفلسطينية من أبرز الثورات الشعبية التي اعتمدت أسلوب حرب المدن، ومع ذلك فإنها لم تصل إلى وضع تنظيم ثوري قوي يمكن من خلاله زعزعة نظام الاحتلال الإسرائيلي، وهي الأخرى لازالت تعاني من تعدد فصائلها، وعجزت عن إيجاد جبهة مقاومة موحدة (أرنستوغيفارا، د ت. ص 11) فلجأت بعد ذلك إلى إنزال الجماهير الشعبية إلى الشوارع في المدن الفلسطينية كي تواجه القوات الإسرائيلية بالحجارة في مواجهات مكشوفة الأمر الذي صعب عليها تحقيق نتائج ملموسة على أرض الواقع، ولو أردنا إجراء عملية مقارنة بين الثورات المسلحة من حيث طبيعتها ووسائلها، وكذا الاستراتيجية المتبعة لوجدنا الثورة الجزائرية أفضل نموذج في ذلك، فهذه الأخيرة كانت قد انطلقت بوسائل جد بسيطة من حيث العدة والعتاد، الأمر الذي صعب عليها تحقيق انتصار حاسم على الاستعمار الفرنسي، ولتغطية ذلك النقص فقد اختارت أسلوب المواجهة الشاملة، وبهذه الاستراتيجية لعبت المدن الجزائرية دورا كبيرا في المقاومة المسلحة، تتقدمهم في ذلك مدينة الجزائر التي كانت أفضل مثال للمقاومة الحضرية(Mohamed Teguia , 1988, p129).

وفضلا عن ذلك فقد كانت مدينة حساسة بالنسبة للاستعمار الفرنسي، بحيث كانت تتمركز بها المؤسسات السياسية والإدارية، وكذا العسكرية والاقتصادية، وبقدر أهمية المدينة بالنسبة للاستعمار كانت هامة أيضا بالنسبة للثورة الجزائرية، لذلك فإنها كانت منذ البداية محل اهتمام لدى قادة الثورة، وعملوا ما في وسعهم لتحويلها إلى قلعة من قلاع الثورة، ومن عاصمة للاستعمار الفرنسي إلى عاصمة للثورة الجزائرية، فقد خاضت المدينة الكفاح المسلح منذ البداية، ولعبت خلاله الأحياء الشعبية دورا بارزا في مقاومة العدو وكان حي القصبة القاعدة الخلفية للنشاط الثوري بالمدينة فهذا الحي –رغم صغر مساحته– التي كانت أقل من مساحة حديقة لوكسمبورغ (Henri Alleg, 1981, p187) إلا أنه تحول إلى قلعة محصنة تخشى قوات الاستعمار الفرنسي التوغل بداخله.

2/ مدينة الجزائر واستراتيجية حرب المدن في الثورة التحريرية:

لقد كانت العمليات الفدائية الأولى التي حدثت ليلة أو نوفمبر بمدينة الجزائر دليلا قاطعا على أسلوب المواجهة الشاملة الذي اختارته الثورة منذ البداية، وأصبحت بذلك المقاومة في المدن أو ما عرف باسم "الفداء" في الثورة الجزائرية استراتيجية مهمة في الكفاح المسلح، فمنذ البداية كانت قوات جيش التحرير الوطني تتشكل من ثلاث عناصر : المجاهد، المسبل والفدائي(عمار القليل، 1987، ص18) ، ومن خلال هذا الثلاثي كانت الثورة الجزائرية قد عبرت عن طابعها الشعبي وبعد ها الاستراتيجي، وبغض النظر عن الفترة القصيرة التي

تلت أول نوفمبر 1954 والتي عرفت المدينة خلالها بعض الهدوء، إلا أنها عرفت بعد ذلك تطورا كبيرا في العمل الثوري ولاسيما في الجانب العسكري حيث عرف هذا الأخير تصعيدا خطيرا ادخل الرعب في أوساط القوات الفرنسية، وخاصة بعد أن تكونت في المدن والقرى منظمات المقاومة التي أصبحت تؤلف جيشا ثابتا، بدون بزة عسكرية، وكان ذلك نتيجة التنظيم الثوري الذي وضعه مؤتمر الصومام للثورة (وزارة الإعلام والثقافة، 1979، ص15).

لم يكن النشاط الفدائي الذي عرفته مدينة الجزائر أو ما يعرف باسم حرب الشوارع، مجرد إنزال الشعب إلى الشوارع ليقوم بمظاهرات شعبية عارمة، كما أن العمليات الفدائية التي شهدتها مدينة الجزائر لم تكن محاولات منعزلة عن الاستراتيجية الشاملة التي اتبعتها الثورة الجزائرية، بل كانت وسيلة كفاح فعالة، ذلك أن النشاط الفدائي بمدينة الجزائر وإن لم تكن له نتائج عسكرية حاسمة، إلا أنه لعب دورا كبيرا في زرع الرعب وتحطيم معنويات القوات الفرنسية دون أن تتمكن هذه الأخيرة من التصدي للعمليات الفدائية التي كانت تنفذ بكل نجاح، بحيث كثيرا ما كانت مدينة الجزائر تتحول إلى ميدان للمقاومة ومعركة مستمرة دون انقطاع من خلال سلسلة العمليات الفدائية المتتالية في شكل منسق عبر مختلف الأحياء(L`écho d`Alger, 1957, p1).

كل ذلك كان له تأثيرا كبيرا على معنويات قوات الجيش الفرنسي، وأخلط الأوراق عليها ووجدت نفسها أمام عدو مجهول يستنزف قواتها ويسبب لها القلق باستمرار دون ان تتمكن من القضاء عليه، وفضلا عن ذلك فإن العمل الثوري بمدينة الجزائر جسد البعد الشعبي للثورة الجزائرية، وذلك من خلال الاضطرابات والمظاهرات. وهذا المظهر لم يكن أقل أهمية من النشاط المسلح، وبين العمليات الفدائية مرة وتحرك الجماهير مرة أخرى وقفت القوات الفرنسية عاجزة عن مواجهة المقاومة الشعبية بالمدينة، فلجأت إلى استعمال سياسة القمع العشوائي والتعذيب الهمجي من أجل تفكيك التنظيم الثوري، وقد كلفها ذلك الكثير، بحيث كشفت حقيقة الاستعمار الفرنسي وما كان يمارسه ضد الشعب الجزائري وأصبح محل اتهام من قبل الرأي العام العالمي في حين أصبحت قصص الفدائيين الجزائريين مثار إعجاب العالم كله، وأفردت بالعناية الكبرى في الكثير من الأوسط الثقافية نظرا لبطولاتهم الخارقة وتضحياتهم الكبيرة (الأخضر بوطمين، 1948، ص102 وما بعدها).

3/ قوات الجيش الفرنسي في مواجهة الثورة في مدينة الجزائر

لعله من الأمور الصعبة التي تعترض الباحث في تاريخ الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي هو تحديد فظاعة سياسة الاستعمار الفرنسي بالجزائر ولا سيما تلك الجرائم التي ارتكبتها قوات الجيش الفرنسي أثناء ثورة التحرير، فلو أردنا أن نعطي مسمى لتلك السياسة لما وجدنا غير صفحات الهمجية، والبربرية. وهي صفات أقل حدة مقارنة بما قام به الفرنسيون بالجزائر وهذا باعتراف الفرنسيين أنفسهم، فقد وجدنا من بينهم

من يدين سياسة بلادهم في الجزائر، وعبروا عن ذلك بأنه أعادهم إلى الوحشية وعصور التأخر والبربرية، وأن الفرنسيين بارتكابهم لتلك الجرائم أكدوا على أنهم ذوو ضمائر فاسدة (سارتر، د ت، ص43). وقد يكون ذلك هو الذي أبقى الحديث عن سياسة الاستعمار الفرنسي بالجزائر عبارة عن علامة استفهام (؟)، بحكم أن الفرنسيين لا يريدون الحديث عن تاريخ وجودهم بالجزائر الذي هو في مجمله تاريخ أسود، وهي الحقيقة التي لازالت تخيف الفرنسيين لأنها تكشف عن حقيقة وجود الاستعمار الفرنسي بالجزائر، وإلا كيف نفسر الصمت المسدل على هذا الجانب؟ حتى أننا وجدنا أحد المؤرخين الجزائريين يتساءل حول عدم وجود مقارنة بين غزو التتار لبغداد، وغزو الفرنسيين للجزائر؟ (سعد الله، أبو القاسم ، 1992، ص15).

ومهما يكن فإن الباحث في تاريخ الجزائر أثناء ثورة التحرير يجد نفسه مضطرا للحديث عن جرائم الاستعمار الفرنسي التي ارتكبها في الجزائر وتخصيص لها فصل أو فصول مهما كان نوع وطبيعة البحث المراد البحث فيه. إذ لا يمكن أن نتحدث عن الاحتلال الفرنسي دون الحديث عن جرائمه وغير ذلك سيصبح الكلام دون معنى، إذ كل الكتب التي تناولت تاريخ فرنسا في الجزائر إلا وتوقفت كثيرا عندا هذا الجانب وحتى تلك الكتب التي تناولت جوانب يفترض انها بعيدة عن الإجرام وفيها الرقة والتحضر كانت همجية الاستعمار الفرنسي حاضرة وحقيقة ماثلة في سلوكيات والاستعمار الفرنسي فالأدب والتاريخ والفن كلها تناولت الجزائر والشعب الجزائري دون احترام لا نقول للشعب الجزائري ولكن لإنسانية الانسان فهل كان الشعب الجزائري غير ذلك وحت القوانين التي ات بها فرنسا الحرية والاخوة والمساوة سقطت وتمزقت على شواطئ الجزائر، وقد وصل الامر الى حد اصبح فيه زبانية وجلادي الاستعمار يقرون بجرائم دون خجل ولا حياء، يفتخرون دون ندم عن جرائمهم التي ارتكبوها ضد الشعب الجزائري فقط لأنه دافع عن كرامة وحرية.

لقد أشرنا من قبل أن الاستعمار الفرنسي قد سعى منذ البداية إلى الأهمية الاستراتيجية لمدينة الجزائر بالنسبة له، لذلك عملت على اعتقال كل المناضلين الوطنيين الناشطين بالعاصمة والزج بهم في السجون بهدف إبقاء مدينة الجزائر بعيدة عن النشاط الثوري الذي كانت تعيشه بقية المناطق الأخرى (Ferhat Abbas ,1980.p. 199). وباعتبار أن طبيعة المواجهة بمدينة الجزائر كانت تختلف عن غيرها بالمناطق الجبلية، فإن سياسة الاستعمار الفرنسي ومن أجل القضاء على النشاط الثوري بالعاصمة أخذت صبغة مميزة، ففي مدينة الجزائر لا يمكن الحديث عن قنابل النبالم التي كانت تبيد المداشر في البوادي وتحطم القرى وتحرق الغابات، إن مثل هذه الأمور كانت وسائل غير مجدية في معركة تدار رحاها داخل مدينة نصف سكانها من الأوربيين(Roger Trinquier , 1961.p73) ، الذين كانوا يمثلون القوة الثانية للاستعمار، وفضلا عن ذلك فإن الحرب داخل المدن تختلف عن الحرب في المناطق الجبلية. كل ذلك كان يشكل إحدى العقبات أمام السلطات الفرنسية للقضاء على النشاط الفدائي بالمدينة، الأمر الذي جعلها تتبع استراتيجية شاملة جمعت فيها الوسائل السياسية والعسكرية، والإعلامية والحرب النفسية.

1.3/ استراتيجية الجيش الفرنسي العسكرية في مواجهة النشاط الثوري بمدينة الجزائر

بعد العمليات الفدائية الأولى التي حدثت ليلة أول نوفمبر 1954 بمدينة الجزائر، تحركت السلطات الفرنسية بقوة وشرعت في عمليات البحث والتمشيط قصد القبض على العناصر الفدائية التي كانت وراء تلك العمليات ولكونهم لم تكن تملك أي معلومات عن العناصر التي كانت تشكل التنظيم الثوري الأول، فقد بدأت بحملات اعتقال عشوائية ضد كل المشتبه بهم ولاسيما عناصر حركة الانتصار للحريات الديمقراطية(محمد العربي الزبيري، 1984، ص132) ، وقد تمكنت من إلقاء القبض على بعض العناصر الفدائية وسلطت عليهم بعد ذلك أشد أنواع التعذيب الأمر الذي جعلها تتمكن من معرفة تركيب التنظيم والتعرف على عناصره وبالفعل فقد تمكنت من إلقاء القبض على أغلب العناصر الفدائي (ج، ت، و، 1985، ع ص 85، 100) ونتيجة لذلك بدت المدينة وكأنها تعيش الهدوء عكس المناطق الجبلية والأرياف التي استمرت فيها العمليات المسلحة وقد استمرت السلطات الفرنسية في تشديد رقابتها وتكثيف قواتها بالمدينة تحسبا لأي خطر، وفي هذا الإطار تمكنت من إلقاء القبض على قائد الولاية الرابعة، رابح بيطاط في منتصف شهر فيفري سنة 1955 (الزبيري، 1984، ص132). ولذلك فقد تنامى طموح الاستعمار الفرنسي لإنهاء الخرب في هذه المنطقة في أسرع وقت ممكن.

لكن الهدوء الذي عاشته مدينة الجزائر لم يدم طويلا، بحيث تحركت عناصر فدائية جديدة وبدأت تعمل على تنظيم نفسها وشرعت في القيام ببعض العمليات الفائية، ومع عودة النشاط الفدائي بالمدينة، قامت السلطات الفرنسية بإجراءات وقائية، فبعد الإعلان عن حالة الطوارئ في 16 أفريل 1955(ج، ت، و، 1985 ع ص 85، 100) ، أصبحت القوات الفرنسية بالمدينة تعيش حالة حرب، بحيث شرعت عمليات البحث والتمشيط والاعتقالات، وفي نفس الوقت قامت بحرب إعلامية واسعة من خلال توسيع الدائرة الإعلامية والعمل على تحطيم معنويات الجزائريين وعزلهم عن الثورة ((الزبيري، 1984، ص132)). ولعلنا لا نستطيع تشكيل تصور عام حول السياسة الفرنسية التي حاولت من خلالها القضاء على النشاط الفدائي في الفترة الأولى ففي غياب المعلومات العامة عن تركيب وتنظيم العمل الفدائي فقد بدا من الواضح أن عمل القوات الفرنسية يكون صعبا للغاية، ولعل السلطات الفرنسية نفسها كانت لا تزال تبحث عن أنجع السبل للحد من النشاط الفدائي المتنامي باستمرار، وعليه فإن أحسن الطرق هي أسهلها، بحيث لجأت السلطات الفرنسية إلى الاعتقال الجماعي ولاستنطاق الذي يعني هذا التعذيب(L`écho d`Alger n°, 17-04-1955).

وأمام تنامي الخطر الذي كان من نتائج زحف الثورة وتوسيع دائرتها ومع الضغط الذي كان يمارسه المعمرون على السلطات الفرنسية فقد قامت هذه الأخيرة بإصدار إجراءات "دراكونية"، بحيث أصدرت قانون المسؤولية الجماعية (Alistaire Horne 1980, p117) ، وكان هذا برهانا قاطعا على فشل القوات

الفرنسية أمام زحف الثورة، وعجزها عن مواجهتها بالطرق العسكرية، فسياسة المسؤولية الجماعية في عرف السلطات الاستعمارية كانت تعني تحميل كل الشعب الجزائري مسؤولية تفجير الثورة الجزائرية، فمثلا عندما يتم تدمير أعمدة هاتفية في منطقة معينة، فإن عقاب ذلك هو تدمير "الدوا" كله فهذا الأخير هو الذي يدفع الثمن، أي ثمن الأعمدة، وأكد سوستيل على أن مثل هذه السياسة تكون ذات فالية مع العرب الذين ينحنون أمام القوة(Alistaire Horne ,1980 : p.118).

وهكذا فقد كانت أحسن الطرق وأسهلها أمام السلطات الفرنسية هو القيام بحملات التمشيط والاعتقالات الجماعية، ففي النصف الأول من سنة 1956، وبعد ما تمكنت القوات الفرنسية من الكشف عن وجود خلايا فدائية منظمة كانت تنشط بالمدينة، قامت السلطات الفرنسية بتشديد رقابتها وإحكام سيطرتها على المدينة، ولتحقيق ذلك أعلنت عن حالة الحصار في مدينة الجزائر يوم 17 مارس 1956، وذلك ابتداء من منتصف الليل إلى غاية الساعة الخامسة صباحا، وبعد يومين من ذلك الإعلان مددت مدة الحصار لتصبح من الساعة الثامنة مساءا إلى الخامسة صباحا (L`écho d`Alger n° : 17-03-1956 et le 20-03-1956)، وقد نشر ذلك الإعلان على صفحات الجرائد الفرنسية مرفق ببعض الصور لأحد شوارع المدينة تبين فيها الهدوء الذي عم المدينة بعد الإعلان عن حالة الحصار، وأمام تزايد النشاط الفدائي لجأت القوات الفرنسية إلى تكيف حملات التمشيط ففي يوم 27 ماي 1956 قامت القوات الفرنسية بعمليات تمشيط واسعة في حي القصبة، وكان ذلك ردا على بعض العمليات الفدائية، بحيث بدأت العملية في منتصف الليل قادها حوالي ألف وخمسمائة شرطي وخمسة آلاف جندي ودامت هذه العملية يوما كاملا، تم على إثرها اقتحام المنازل وتفتيشها، وقد تمكنت القوات الفرنسية من حجز بعض الأسلحة التي كانت بحوزة عناصر جبهة التحرير الوطني كما تم اعتقال حوالي خمسة عشر شخص أخذوا إلى المعتقلات ومنها الملعب البلدي(L`écho d`Alger n° :le 28-05-1956 pp. 14, p. 186).

لم تتمكن السلطات الفرنسية من تحطيم فصائل التنظيم الثوري بالمدينة واتضح أن قوات الاستعمار الفرنسي هذه غير كافية للقضاء على النشاط الفدائي بمدينة الجزائر، وفشلت معها عمليات التمشيط التي عجزت أمام نشاط العناصر الفدائية التي استمرت في تكثيف عملياتها الفدائية، الأمر الذي جعل السلطات الفرنسية تعيش في حيرة واضطراب، فلجأت بعد ذلك إلى عزل حي لقصبة باعتباره القاعدة الخلفية للنشاط الفدائي بالمدينة بحيث أحيط بالأسلاك الشائكة ولم يترك منه إلا ممرات ضيقة تتمركز بها مراكز للمراقبة(Henri Alleg , op. cit., p. 186) ، وبعد ذلك توسعت هذه العملية لتشمل أغلب الأحياء العربية بالمدينة ففي شهر سبتمبر 1956 تم محاصرة أحياء المدينة، باب الواد، باب عزون، واحاطة القصبة بالأسلاك الشائكة ومنعت الحركة فيه(L`écho d`Alger.n° : 03-09-1956) ، وقد توسعت هذه العملية

لتشمل بعض الأحياء بالناحية الشرقية من المدينة حيث تم تطويق حي بلكور بالأسلاك الشائكة(Idem n° :11-10-1956, p.1) ، وذلك نظرا لانتقال العمليات الفدائية إليه.

لكن كل ذلك قد جلب للقوات الفرنسية المتاعب وجعلها في حالة مراقبة دائمة ومع ذلك فإنها لم تحقق النتائج المرجوة رغم قوة الوسائل التي كانت تملكها القوات الفرنسية، بحيث كان هدف السلطات الفرنسية من وراء حملات التمشيط المتكررة هو القبض على الخصم (قيادة التنظيم) الذي كان يفلت دائما من قبضتها، فلا قواتها العسكرية الضخمة استطاعت أن تحد من حركات العناصر الفدائية، بحيث استمرت العمليات الفدائية وبقوة أكثر، فقد شهدت المدينة تصعيدا خطيرا بعد إعدام الشهيدين أحمد زبانة وعبد القادر فراج يوم 19 جوان 1956، بحيث عاشت المدينة أيام رعب نتيجة العمليات الفدائية (Yecef Saadi : op. cit., p. 235).

أمام هذا التصعيد فقد عم الخوف الأوساط الفرنسية الأمر الذي دفع المعمرين إلى الإقدام على جريمة حادثة شارع التبس بالقصبة يوم 10 أوت 1956، والذي أدى إلى مقتل حوالي 73 جزائري(ipid., p. 265) وكان لهذا الحادث أثر كبير على معنويات الجزائريين وكشف من جهة أخرى التواطؤ الذي كان بين القوات الفرنسية والمتطرفين الأوربيين الذين ارتكبوا عدة جرائم وقاموا بعدة اعتداءات ضد الشعب الجزائري، وأصبح العمل مشتركا بين رجال القوات الفرنسية وعصابات المعمرين المتطرفين(Yves, 1969.pp .429-430).ورغم ذلك فإن العمليات الفدائية لم تتوقف في 29 ديسمبر 1956 أعمالا فدائية خطيرة كانت أخطرها عملية مقتل أميدي فروجي في 29 ديسمبر 1956، الأمر الذي أصبح مؤكدا بالنسبة للقوات الفرنسية أن التنظيم الثوري جد قوي وأصبحت تعيش حالة الرعب والخوف من ضياع مدينة الجزائر بعد أن أضحت تحت سيطرة جبهة التحرير الوطني(Raoul Salon, 1972,p147) فاضطرت السلطات الفرنسية إلى تدعيم قواتها العسكرية بالمدينة وتطوير استراتيجيتها للقضاء على النشاط الفدائي.

2.3/ تعزيز قوات ووحدات الجيش الفرنسي

يظهر مما سبق ذكره أن السلطات الفرنسية حتى نهاية سنة 1956 كانت قد فشلت في كل اطر التي اتبعتها من أجل القضاء على النشاط الفدائي فرغم أن هذا الأخير في مرحلته لم يكن قويا، إلا أن السلطات الفرنسية عجزت في الحد من العمليات الفدائية التي تضرب أحياء المدينة باستمرار بحيث لم تنفعها عمليات التمشيط المتوالية ولا حتى حملات الاعتقال الجماعي، وإضافة إلى ذاك فإن جبهة التحرير أعلنت عن إضراب شامل هذا من خلاله الشهيد العربي بن مهيدي السلطات الفرنسية بديان بيان فو بمدينة الجزائر (Dahlab, saad 1990, p58,). وقد كان ذلك كالصاعقة على السلطات الفرنسية، الأمر الذي جعلها تقوم بعدة إجراءات هامة، كانت بدايتها إقالة والي مدينة الجزائر كولافري في شهر ديسمبر 1956 وعين مكانه سارج باري(YvesCouriere ,1969, p 418) ، وقد أبدا هذا الأخير استعداد كبيرا للقيام بمهامه فرغم أنه كان

يشكو من إعاقة في رجليه إلا أنه كان يتظاهر بقدرته على الوقوف على مدينة الجزائر وبعد ذلك قامت السلطات الفرنسية الممثلة من طرف لاكوست في 7 جانفي 1957 باستدعاء قادة عسكريين جدد، على رأسهم أبرز الجنيرالات الفرنسيين المتدربين على فنون حرب العصابات وذوي الخبرات العالية في هذا المجال، من بينهم الجنيرال سلان رؤول قائد الفرقة العسكرية العاشرة للمظليين العائدة من حرب السويس(Alistaire Horne , op. cit, p.195) وحتى تتمكن قوات الجيش الفرنسي من محو عار الهزيمة التي منيت بها هناك فقد قرر سالان تطهير مدينة الجزائر، بحيث اختار لتحقيق ذلك أشهر القادة العسكريين على رأسهم الجنرال ماسي الذي كلفه بمهمة خوض معركة الجزائر والقضاء النهائي على: أولئك الصعاليك الذين يصنعون القنابل لقتل النساء والأطفال"(Couriere , op. cit, p. 454). وقد أظهر الجنرال ماسي شجاعة كبيرة لتحقيق ما عجز عنه الأولون، لا سيما سالان قد شرح له الوضعية وطلب منه تعزيز قواته بستة واربعين ألف جندي بعد أن خول له كل السلطات(Alistaire Home,op. cit., Yves p.195) ، بحيث وضعت تحت تصرفه السلطات المدينة والبوليسية إلى جانب القوات العسكرية.

4/ فشل الجيش الفرنسي في القضاء على النشاط الثوري بمدينة الجزائر

هكذا سمت القوات الفرنسية إحدى أكبر معاركها التي خاضتها في الجزائر "بعملية الخمور" (Henri le mire , 1982, p 109) ، ولسنا ندري هل تلك التسمية هي استخفاف بالمعركة بحيث يمكن لعناصر الجيش الفرنسي القيام بها وهم في حالة سكر؟ أم أنها تعبير حقيقي عن حالة الخوف والذعر التي أصبح عليها الجيش الفرنسي الأمر الذي جعله يمشي خبط عشواء ويرتكب أكبر الجرائم الإنسانية ضد الشعب الجزائري وكأنه فقد صوابه، ومهما يكن فإن العملية بدأت في 8 جانفي 1957، يقودها الجنرال ماسي يساعده في ذلك أكبر القادة العسكريين العائدين من حرب الفيتنام وأصحاب تجربة كبيرة في حرب العصابات، نذكر منهم، فوسي فوانسوا، بيجار، جون بيير، غودار، ترينكي(Salan, op. cit., p. 149 voir aussi A Horne : op. cit., pp.173, 196.)، وكلهم كانوا محل احترام لدى وحدات الجيش الفرنسي ومحبوبين من طرف المعمرين وإلى جانب هذه القوات العسكرية نجد فرق الدرك المقدرة بحوالي عشرة فرق، أما القوات البحرية والقوات الجوية فإنها لم تتأخر عن المشاركة في هذه العملية، بحيث قدمت المساعدات الكاملة لقوات الجيش الفرنسي(Salan, op. cit., p. 150).

لقد بدأت العملية وبسرعة أخذت الوحدات العسكرية أماكنها عبر مختلف أنحاء المدينة والمناطق القريبة منها وقبل أن يبدأ الإضراب بعشرين يوم كانت منطقة الجزائر الكبرى ابتداء من حي عين طاية شرقا إلى حي (قيوفيل) عين البنيان حاليا غربا وكأنها وقعت تحت نسيج العنكبوت، أم القصبة فقد أصبحت غاية محاصرة بآلاف الجنود، والهدف هو القضاء العناصر الفدائية وتدمير التنظيم الثوري بالمدينة، أما المبرر المقدم فهو إفشال الإضراب وتكسيره، وحتى يكون لذلك العمل شرعية ويكون محل رضى من قبل الفرنسيين

ولا يجد معارضة دولية، أوجد ماسي مبررا تهديد الإضراب الذي أظهره على أنه عصيان ثوري لتحريك مشاعر المعمرين ويشعرهم بانعدام الأمن في كل الجزائر. لذلك بدأت عملية التمشيط يوم 8 جانفي 1957 أي بحوالي عشرين قبل بداية الإضراب وهذا ما يؤكد لنا أن العملية كانت أكثر من هدف تحطيم الإضراب وإفشاله، وكانت البداية أو حوصرت القصبة بحوالي عشرة آلاف مضلي، قاموا بعمليات تفتيش للمنازل وأوقفا كل مشتبه فيه(Mohamed Lebjaoui , 1972, p 15) ، وقد كانت عمليات التمشيط تتم بالصور الآتية، بحيث يتم محاصرة المدينة بشكل محكم ثم يبدأ العمل، وعادة ما يبدأ ليلا، وأثناء الشروع في العمل يطلب من السكان ترك أبواب منازلهم مفتوحة ليلا ونهارا وفي هذه العملية الأولى تم إيقاف حوالي خمسة وعشرين الف مشتبه منهم حوالي الف وخمسمائة تم إدانتهم وأحيلوا إلى مراكز الاعتقال(Yves Couriere , op. cit ,p 461). لكن رغم هذه القوات العسكرية إلا أن قوات الجيش الفرنسي فشلت في مهامها وأثبت عدم جدوى التمشيط ففي 26 جانفي 1957 عمليات فدائية جريئة تهز مدينة الجزائر حوالي خمسة قتلى واربعين جريحا والتحقيقات الأولية أثبتت أن القنابل من وضع فتيات وفي نفس اليوم فقد تم حرق أروقة بلكور وعدة عمليات فدائية أخرى بالقنابل اليدوية (Henri Le mire ,op. cit., p109).

لقد فشلت عملية الخمور ولم تحقق النتائج المرجوة وصفتها القيادة العسكرية بالليونة، وأصدرت بيانات في شهر جانفي 1957 توضح فيها إلى أن لا مبدأ، لا عقيدة ولا أخلاق في هذا المجال وما يهم هنا هو النتيجة وطالبت أن يشارك الجميع في عملية البحث عن الفدائيين فالعملية التي تخاض في مدينة الجزائر لا تقل خطورة من العمليات التي يخوضها الجيش الفرنسي في منطقة جبال النمامشة، أو منطق أخرى على حد تعبير أحد القادة العسكريين للعملية(Henri Alleg , op. cit., p 463) ونفهم من هذا أن السياسة الفرنسية ستعرف تصعيدا خطيرا وذلك من أجل وضع حد للتنظيم الثوري الذي لا يتم إلا بإلقاء القبض على قادته وإتباع استراتيجية فعالة تنسق فيها الأعمال بين مختلف المصالح والوحدات العسكرية.

1.4/ فشل سياسة حصار وتشديد المراقبة على احياء مدينة الجزائر

بعد فشل القوات الفرنسية في سياسة التمشيط والاعتقال الجماعي وكذا المواجهة العسكرية ضد العناصر الفدائية لجأت إلى استعمال سياسة أخرى وذلك بإتباع المراقبة المشددة والمستمرة على المدينة، وذلك من خلال توزيع عناصر وحداتها العسكرية عبر مختلف الأحياء، بحيث نجد عشرات الآلاف من المظليين متوزعين فوق سطوح العمارات وشرفات المنازل، في زقاق المدينة وعبر شوارعها وكانت الدوريات عسكرية تجوب شوارع المدينة بين اللحظة والأخرى، وفضلا عن ذلك فإن المدينة ولا سيما الأحياء العربية كانت محاطة بالأسلاك الشائكة المدعمة بأبراج المراقبة (L`écho d`Alger le 03-09-1956 p. 3 .voir aussi H. Alleg : op. cit., p. 463). وفي الوقت نفسه كانت القوات الفرنسية قد استحدثت نظام

المراقبة السرية وذلك بزرع عيون لها عبر الأحياء وسطوح العمارات، بحيث كان كل داخل أو خارج يكون معروفا من قبل هذا النظام المستحدث.

وقد عملت السلطات الفرنسية على تطوير هذا التنظيم المدني لا سيما بعد فشلها في عمليات التمشيط التي لم تأت بالنتائج المرجوة، فمنذ شهر فيفري 1957، بدأت المراقبة الخفية المستمرة (Marcel Bijeard , 1958 p 117) ومن أجل السيطرة على كل التحركات كانت السلطات الفرنسية قد قامت بإيجاد الفرق الإدارية الحضرية وهي تقابل لصاص الفرق الإدارية بالأرياف والبوادي وقد كان الهدف من ذلك هو القيام بحرب نفسية لكسب الشعب وعزله عن الثورة وذلك من خلال الإشراف الإداري الذي يسيره العسكريون، بحيث كان يدير هذه يدير هذه المؤسسة قسم المصالح الإخبارية التي كان يديرها روجي ترينكي وإلى جانب هذه المؤسسة فقد قامت السلطات الفرنسية بإيجاد مصلحة أخرى هدفها جمع المعلومات والكشف عن كل المشتبهين وذلك من خلال زرع عناصرها بين السكان ومن هذه المصلحة أنشأت "أجهزة الحماية الحضرية"(Salan, op. cit., p 68). ففي هذه المصلحة كلن يوجد في كل محافظة بوليسية مسؤول له علاقة مباشرة مع أفراد هذه المؤسسة الموزعين عبر الأحياء، والعمارات والذين يعملون على تقديم له كل المعلومات وبدوره يقدمها هو إلى محافظة الشرطة وبهذه الطريقة كان كل السكان معروفين من قبل رجال هذه المصلحة ففي حالة دخول أو خروج أي أجنبي إلى حي ما يتم كشفه مباشرة، وبسرعة تنتقل الأخبار بواسطة الفرد العامل بذلك إلى السلطات الفرنسية الأقرب منه(يتحدث سالان عن 7500 عميل انظر Salan, مرجع سابق، ص6).

وحتى تكون العملية منظمة فقد قسمت المدينة إلى أحياء وعلى رأس كل حي ينصب مسؤول يساعده شخصان أو ثلاثة، والحي بدوره يقسم إلى شوارع، وعلى كل شارع ينصب مسؤول ومساعدين له، وهكذا حتى نصل إلى قاعدة التنظيم وهي العمارة أو المبنى، حيث ينصب عليها مسؤول أيضا يكون على اتصال مباشر بالسكان، وكل هؤلاء كانت تعينهم مصالح الشرطة، وبهذه الطريقة التي تشبه إلى حد كبير التنظيم الثوري الذي وضعته جبهة التحرير استطاعت القوات الفرنسية تسميم الوسط الشعبي، وقد كانت طريقة ناجحة إلى حد ما، فبعد شهرين من تكوين هذه المصلحة تمكنت من استخدام آلاف الجزائريين الذين أصبحوا يعملون إلى جانب السلطات الفرنسية (Trinquier, op. cit., p 53 ; voir aussi H. Alleg, op. cit., p 448.).

وفي هذا الإطار دائما قامت السلطات الفرنسية بإحصاء عدد السكان وجعلت بطاقات خاصة لكل ساكن، وكل بطاقة تحمل اسم صاحبها مع الصورة، مميزة بأحرف وأرقام، بحيث يوضع عليها حرف يرمز إلى الشارع، ورقم الحي. فمثلا المدينة يرمز لها بحرف (أ) والحي يعطي له رقم (3) وعليه فإنه رقم بطاقة هذا الساكن تكون على هذا الشكل: (أ2 ب3) وكل شخص يعثر لديه أرقام غير التي منحت له يكون محل

شـك، وإذا كان خارجا من سـكناه عليه أن يصـرح بذلك وبمكان توجهه وأسـباب ذلك(Henri Le mire : op. cit., p. 55 voir aussi H. Alleg op. cit., p. 456). وبهذه الطريقة تمكنت السلطات الفرنسية من خلق عمل متكامل بين مختلف مصـالحها، بحيث جعلت مراقبة عسـكرية عبر مختلف شـوارع المدينة ومراقبة خفية في شوارع وأحياء المدينة وبهذه الطريقة تمكنت من تشديد المراقبة على المدينة.

ويجب أن نذكر هنا أن هذا العمل كانت ترافقه حرب إعلامية دعائية من أجل التأثير على معنويات الشعب الجزائري، بحيث كانت أجهزة الإعلام الفرنسية تشن حربا نفسية خطيرة من خلال جرائدها المتعددة، والإذاعة والتلفزة، والسينما، فقد كانت هذه السياسة أكثر تأثيرا على سكان المدينة منها على سكان الأرياف(Khalfa Mameri , Abane Ramdhane, héros, 1992 p137) ، ورغم أن القوات الفرنسية اعتقدت في نهاية مارس 1957 أنها أنهت مهمة مدينة الجزائر، الأمر الذي جعلها تقوم بتسريح بعض وحداتها العسكرية نحو المناطق الجبلية، إلا أن النشاط الفدائي قد تواصل بعد أن أعيد تنظيم وحداته وكانت أحداث قنابل الكورنيش يوم 8 جوان 1957 دليلا قاطعا على أن التنظيم لا يزال قويا بالمدينة، الأمر الذي جعل القوات الفرنسية تقوم بإعادة وحداتها العسكرية إلى المدينة(henri Le mire ,op. cit., p119).

وبذلك فإن "معركة الجزائر" ستنطلق من جديد والهدف الأول هو تدمير التنظيم الثوري وكسر خلاياه، وتشتيت عناصره الفدائية، ولا يتم ذلك إلا من خلال إلقاء القبض على قادة التنظيم، وأمام فشل عمليات التمشيط والاعتقال ثم فشل القوات الفرنسية في الحد من تحركات العناصر الفدائية رغم المراقبة المشددة على أحياء المدينة، لجأت القوات الفرنسية إلى عمل ذكي ومركز ود كان هذا العمل يتمثل في إعادة عمل جانفي 1957 أي حملات تمشيط واعتقالات وفي نفس الوقت يرافق ذك عمليات التعذيب دون تضييع للوقت، فقد كانت الطريقة حسب القوات الفرنسية أسهل الطرق ومؤكدة النجاح فأمم (هؤلاء الجبناء والقتلة) لا يوجد حل إلا هذا الحل، لا سيما وإن الرأي العام الفرنسي أصبح قلقا من عمل الجيش الفرنسي وعليه فإن كل شيء كان متوقف بمدى النتائج التي يحققها الجيش الفرنسي(M. Bijeard ,op. cit., pp 186, 117).

بهذا الكلام بدأ بيجار مع رفقائه المرحلة الثانية من معركة الجزائر يقودها آلاف المظليين الذين غزوا المدينة من جديد، فقد كانت أحياء هذه المدينة مراقبة من كل الجهات فوق سطوح المباني والعمارات كانت عناصر القوات الفرنسية قد أخذت أماكنها، أما الطائرات العمودية فقد كانت تحلق فوق المدينة وبهذه الطريقة كان العمل جاريا من أجل وضع القدم على (غار النمل) أي إلقاء القبض على قادة التنظيم (Yves Couriere , op. cit., p 529) ، لكن مع ذلك ظهر فشل القوات الفرنسية ولم تستطع أن تضع حدا للنشاط الفدائي ولا أن تضع يدها على مسؤولي التنظيم الثوري بالمدينة، لذلك فإن أفضل وسيلة بالنسبة للاستعمار في تفكيك التنظيم الثوري وتشتيت عناصره هو إتباع سياسة القمع والتعذيب.

4.2/ سياسة القمع والتعذيب للقضاء على الثورة بمدينة الجزائر

إن الحديث عن تاريخ الاستعمار الفرنسي في الجزائر دون التطرق إلى جرائمه التي ارتكبها ضد الشعب الجزائري والتي كانت تعبيرا صادقا عن حقيقة وجوده بالجزائر، يكون حديثا مبتورا ولا معنى له، وقد يرى البعض أن هذا اتهاما وعملا بعيدا عن البحث العلمي النزيه، ولذلك فإننا نضطر إلى تقديم شهادات للفرنسيين أنفسهم لرفع كل لبس وبذلك لا نكون نحن المتهمين (بكسر الهاء) للاستعمار الفرنسي بل الفرنسيين أنفسهم هم المصرحين بحقيقة وجودهم بالجزائر، وعند ذلك لا يبقى أممنا تساؤل حول صدق الكلام حول مجازر الاستعمار الفرنسي بالجزائر، أو كذبه، بقدر ما نجد أنفسنا مضطرين للعمل والبحث عن تلك الجرائم التي لا تزال مجهولة إلى حد الآن. وفي هذا الإطار صرح سارتر: "إن ممارسة التعذيب هي إحدى مخازي الإنسانية، ووجود أناس يحترفون تعذيب أناس مثلهم. ليستخرجوا منهم إقرارا بجريمة لهو أمر يفوق كل التصور"، ولهول الجرائم الاستعماري بالجزائر أعلن فرونسوا مورياك الانقطاع عن كتابة إحدى الروايات، لأن فضاعه عالم الواقع تطرده عن مجال التأليف الخيالي" وقد كان يعني هنا الجرائم الفرنسية المرتكبة بالجزائر، وقد تحدث أن فرنسا ولا سيما بالجزائر قد ماتت وإنها تموت باستمرار في كل لون ن الألوان التعذيب التي يخضع لها الجزائريون (جون بول سارتر، د-ت، ع ص68.48).

ولعل الشهادات تطول، فقد ألفت عدة كتب في هذا الشأن لذلك فإننا نضيف بعض الشهادات من الفرنسيين أنفسهم، فقد كتب أحد الضباط الفرنسيين يقول أنه أصبح مشمئز من أي وقت مضى وأكد أن الألمان في أساليبهم كانوا غلمانا بجانب الجرائم الفرنسية بالجزائر أو لعل هذا الذي جعل سيمون دي بوفوار يصرح "إنه إذا كان لا يزال هناك فرنسيون يحسون بالشرف وبالطهارة الجندي وبعظمة فرنسا فإنهم لا يقرأوا جرائم الاستعمار الفرنسي دون أن يحمروا خجلا (بيير هنري سيمون ، 1957، ص47-25) وما يجب ذكره هنا هو أن الحديث عن الجرائم الفرنسية بالجزائر كان بدء لما رآه الفرنسيون أنفسهم في الأحداث التي شهدتها مدينة الجزائر أثناء الإضراب الذي أعلنته جبهة التحرير الوطني في 28 جانفي 1957، ومهما يكن فإن الشهادات المقدمة تؤكد أن هناك جرائم وهناك جلادون وهناك محاكم تفتيش كان الاستعمار الفرنسي قد أقامها بمدينة الجزائر وكانت هذه السياسة أحد أهم الوسائل التي اتبعتها السلطات الفرنسية لتفكيك التنظيم الثوري بالمدينة والقضاء على عناصره.

3.4/ جرائم الجيش الفرنسي ضد الشعب الجزائري بمدينة الجزائر

لقد كانت مدينة الجزائر خلال الثورة الجزائرية عبارة عن محتشد كبير داخل هذا المحتشد هناك مراكز خاصة بالتعذيب والاستنطاق وإحصائنا للها غير ممكن لأن أغلبها عبارة عن أماكن خفية لا تدركها الأنظار(ج، ت، و، 1985، ص7.) ، ومن بين هذه المراكز التي كانت معلومة نذكر: سجن سركاجي، سجن الحراش، مركز الفرز بين عكنون، مركز الفرز ببني مسوس وقد كان معتقلا كبيرا تعرض فيه

الجزائريون لأشد التعذيب والأعمال الشاقة، ومركز بوزريعة الذي كان يتكون من عملات متخصصة ومعدة بوسائل خاصة للتعذيب(Halid Keramane, , p 20). إلى جانب ذلك هناك مراكز أخرى مثل (فيلا سيزيني) التي عرفت كثيرا من طرف الجزائريين أنها كانت رمز التعذيب فهذا المكان كان مكان إقامة القنصل الألماني سابقا (سيزيني) ولكن مند اندلاع الثورة أصبح أحد مراكز التعذيب وشهدت أبشع المناظر، ثم نجد مركز البحرية الذي هو مركزا للقيادة البحرية ومركز للتعذيب في نفس الوقت، وثكنة الشانزي ومدارس الأبيار، ديار السعادة والثكنات التابعة للإشارة، وفيلا اسو المتواجدة في شارع غاليني، والملعب البلدي حيث كان به حوض مائي يرمون فيه المعتقلين، وفيلا موجودة في رقم 51 شارع بري كما كان هناك معتقل مخصص بالنساء بزرالدة(Halid Keramane ;opcit , p 21) ، ومرآب حيدرة، وكذا مزرعة بويل ببئر الخادم حيث استشهد هناك علي بومنجل تحت التعذيب، ومركز قيادة الجنرال ماسي بالأبيار، ومزرعة الطرق الأربعة بحوش التروك بالحراش مزرعة برنابس، فيلا إكلير بتليملي، والبهو الكبير بمطحنتين، فيلا غراس بالحمامات الرومانية (Keramane : op. cit., p21). وإلى جانب هذه المراكز التي كانت معلومة فهناك بعض المراكز الخفية كمركز بئر طرارية الذي ضل لوقت طويل مجهولا(H. Alleg : op. cit., p 443) ، هذه المراكز هي التي كانت تمد المعلومات إلى القوات العسكرية وذلك من خلال الاعترافات التي تفتك من المعذبين.

4.4/ التعذيب وجرائم الجيش الفرنسي ودور المؤسسة الرسمية

كثيرا ما ادعت السلطات الفرنسية أنها تجهل ما كان يجري بالجزائر من تعذيب وقمع الشعب الجزائري وعندما رفعت عدة شكاوي إلى السلطات الفرنسية، جراء تصاعد عمليات الاعتقال تظاهرات السلطات الفرنسية بتكوين لجنة حماية للبحث في تلك الشكاوي ولكن أي فائدة في لجنة حين تكثر الجرائم والمذابح، لقد كان الجميع يعرفها بما فيهم لاكوست وإذا كان هذا الأخير الذي كان حاكما عاما على الجزائر لا يستطيع أن ينهي تلك الأعمال غير الشرعية فهل من المفيد انتظار بضعة المستشارين القضاء على تلك الوحشية(ج، ب، سارتر، المرجع السابق، ص41).

لقد كانت أعمال التعذيب أمم مرأى ومسمع السلطات الفرنسية والجيش الفرنسي هو الذي كان يمارس سياسة التعذيب بعد أن تحول إلى مؤسسة بوليسية وعلى رأس الجلادين على حد تعبير سارتر كان روبير لاكوست صاحب السلطات المطلقة بالجزائر فكل شيء كان يتم من خلاله وبواسطته، وآلاف الجزائريين والذين ماتوا من الألم وتحت آلة التعذيب إنما ماتوا بإرادة لاكوست وقد اعترف بذلك نواب الحكومة الفرنسية(ج، ب، سارتر، نفسه، ص56.) بل إن السلطات الفرنسية كانت قد أوفدت بعثة إلى الجزائر تتكون من بورجيس مونيري، وماركس لوجين حيث زارت هذه البعثة مراكز التعذيب وشجعت هذه السياسة بقوة (M. Lebjaoui , op. cit., p 94) ولم تكتف السلطات الفرنسية بذلك بل قامت بتأسيس أجهزة مكلفة بالقمع تمارس عملها

أساسا بالمدن وكل هذه الأجهزة كانت ذات طابع عسكري وإداري وكانت تابعة مباشرة للسلطة العسكرية، ومن بين هذه الأجهزة: أجهزة بوليس الدولة بوليس المخابرات العامة، البوليس القضائي الفرقة العملية للوقاية، جهاز الحماية الحضرية، المكتب الثاني، المكتب الرابع، الحراسة الإقليمية المصلحة الجوسسية المضادة للجوسسة الفرق المدني الجندرمة(ج، ت، و، ج1، ص108).

إن هذه الأجهزة المختصة في فنون التعذيب هي التي تمكنت من تفكيك التنظيم الثوري بالعاصمة خاصة بعد أن تحصلت على معلومات عن تركيب هذا التنظيم حيث أصبح التعذيب يرافق العمل العسكري في الوقت نفسه، بل أن أجهزة القمع وسياسة التعذيب كانت تسبق عمل العسكريين الذين كانوا دائما ينتظرون معلومات جديدة تأتيهم من مراكز التعذيب للحصول على أسماء جديدة وبهذه الطريقة كان أغلب العناصر الفدائية قد ألقي عليهم القبض.

5/ جرائم الجيش الفرنسي بمدينة الجزائر والانهزام الاخلاقي للاستعمار الفرنسي بالجزائر

إن الحديث عن طرق ووسائل التعذيب التي اتبعها الاستعمار الفرنسي ضد الشعب الجزائري فاقت التصور البشري، حتى أن الألمان أصحاب الأسطورة النازية كانوا في أساليبهم غلمانا صغارا إلى جانب ما فعله الفرنسيون في الجزائر وهذا باعتراف الفرنسيين أنفسهم(A. Horne , op. cit., p 201) ، ففي زنزانات الموت ومحاكم التفتيش المنتشرة عبر أحياء مدينة الجزائر، هنا يمكنك أن ترى صورا قد تعود بك إلى مئات القرون فقد تعود ذاكرتك إلى صور قصص قرأتها من كتب تتحدث عن التعذيب عند الإغريق قبل الميلاد، أو التعذيب عند الرومانيين وهم يرمون الإنسان إلى الوحوش لتمزقه حيا وربما تعيد صور ماسات المسلمين في الأندلس، وصور التعذيب لآلاف المسلمين هناك، وما تراه في مراكز التعذيب الفرنسية بمدينة الجزائر أشبه بذلك فيمكنك أن ترى معارضا متنوعة من الرؤوس البشرية المقطوعة وقد تجد في مكان آخر معارضا لأجساد بشرية معلقة أو مرمية بالسكاكين، مسلومة العيون مبتورة الأنياب(ج، ت، و، سارتر، المرجع السابق، ص6).

أما وسائل التعذيب فكانت كثيرة ومتنوعة كالكهرباء، الحرق، التعذيب بالماء، إحداث جروح وجيوب في جسد المعذب ثم يوضع الملح بها، قلع الأظافر، سمل العينين(عبد القادر يوسفي، 1987، ص35.) ، كل هذا لم يكن كافيا فلجأت السلطات الفرنسية إلى سهول متيجة كي تقضي على من لم يمت تحت التعذيب، كما كانت تقوم برمي الجثث في عرض البحر بعد أن تحزم إلى أحجار الآجر، لتنتقل بواسطة الطائرات العمودية وترمي بها في البحر، ولكن لا سعة سهول متيجة ولا عمق البحر كانا كافين لستر عار فرنسا فلجأت هذه الأخيرة إلى جعل الجثث مع مواد البناء ثم البناء عليها(Couriere , op. cit, p 48).

لقد كانت نتيجة هذه السياسة التي اتبعتها السلطة الفرنسية مخزية جدا فالجزائريون الذين تعرضوا للاستنطاق هنا له معنى واحد وهو التعذيب بلغ عددهم حوالي مائة وثمانون ألف جزائري مستنطق (Edward Beher , 1961, p25) ، والآلاف من هؤلاء كانوا قد فقدوا إلى الأبد ذلك أن المعذب نادرا ما كان ينجو من الموت الأمر الذي جعل عدد الجزائريين المفقودين خلال الأربع أشهر الأولى من سنة 1957 وصل عددهم إلى حوالي ستة آلاف مفقود(Mohamed Teguia , 1988 p 241) ، فقد أصبح من المؤكد الآن أن ما يعرف بمعركة الجزائر هو باختصار ما توصلت إليه السلطات الفرنسية نتيجة القمع والتعذيب وسالان نفسه يقر في مذكراته أن الانتصار يرجع الفضل فيه إلى النقباء والملازمين الذين استقبلوا في مراكز أعمالهم مناضلي جبهة التحرير الوطني ثم قاموا بتعذيبهم لافتاك معلومات سمحت لهم بتفكيك التنظيم بالمدينة.

ونحن الآن نتساءل بدورنا كما تساءل جيل راي في كتابه الذي اتهم فيه ماسي حيث تساءل إن كان الاستعمار الفرنسي قد عجز عن إيجاد حلول أخرى لتحقيق أهدافه دون صراخ ودون دموع ودون تعذيب (Jules Roys , 1972 , p 44). وقد أصبح من المؤكد أن السلطات الفرنسية قد فشلت عسكريا في مواجهة النشاط الفدائي بمدينة الجزائر الأمر الذي دفعها إلى ارتكاب أكبر الجرائم الإنسانية ضد الجزائريين، وذلك من خلال سياسة التعذيب، ولكن هذه السياسة لم تمكنها من تحقيق الانتصار النهائي بالمدينة، بحيث استمر النشاط الفدائي يقوم بمهامه إلى غاية آخر لحظة من وجود الاستعمار الفرنسي بالجزائر.

إن الانتصار الذي كان يتحدث عنه الجنرال ماسي بمدينة الجزائر كان على الأوراق فقط، أما المعركة فقد استمرت على أرض الواقع، وسياسة القمع والتعذيب التي اتبعتها السلطات الفرنسية للقضاء على النشاط الفدائي بالمدينة كانت في أغلب الاحيان عاملا إيجابيا للثورة، بحيث دفعت الكثير من الجزائريين الذين كانوا مترددين في مواقفهم للالتحاق بالثورة، وأصبح الشعب الجزائري أكثر التفاف بالجبهة واحتضن الثورة بشكل كبير(H. Alleg : op. cit., p 494) ، وظهر بذلك خطأ السلطات الفرنسية في تحليلها للوضعية رغم أنها كانت تضم أكبر الجنرالات العسكرية. ولعل هذا الذي جعل (جيل راي) يقول إن القوات الفرنسية وإن انتصرت في (معركة الجزائر) إلا أنها خسرت الحرب التي تشنها في الجزائر(H. Alleg : op. cit., p 494) ، هذه الحرب التي انتصر فيها الشعب الجزائري، والتعذيب الذي نادت به القوات الفرنسية، وامتدحه الجنرال ماسي، ومارسه ضباط ووافق عليه عدد كبير من رجال الألكليروس، في مراكز الفرز والسجون والثكنات

(بوفوار، حليمي، بوباشة، 1962، ص6.) ، كل هذا جعل سيمون دي بوفوار، يتهم في كتابة جميلة بوباشة كل الفرنسيين ويصرح أن للجريمة شركاء آخرين، وليس القوات الفرنسية فقط هؤلاء الشركاء هم الفرنسيون جميعا، الذين لم يحركوا ساكنا أمام الجرائم التي ارتكبت في حق الشعب الجزائري(بيير هنري سمون، مرجع

سابق، ص74). لقد تكلم القادة الفرنسيون قبيل احتلال الجزائر 1830 بأفواه عديدة وقالوا لشعبهم أنهم ينتقمون لشرفه المهان فأيد وتحمس(سعد الله، مرجع سابق، ص16) واليوم وإن كان هناك فرنسيون لا يزالون يدافعون عن أنفسهم وعن شرفهم، ولا يزالون يحسون بالشرف وبطهارة جيشهم وعظمة فرنسا فإننا ندعوهم لأن يقرأوا دون أن يحمروا خجلا (بيير هنري، سمون، مرجع سابق، ص47). صفحات تاريخهم الأسود بالجزائر. أكيد أنهم يكتشفوا أن شرفهم قد ضاع بالجزائر من حيث أرادوا الانتقام له.

خاتمة

لقد كان لاستراتيجية المواجهة الشاملة التي اتبعتها الثورة التحريرية في مواجهتها لقوات الاستعمار الفرنسي عاملا مهما في تحقيق العمل المسلح، بحيث كان طابع الشمولية أنجح طريقة ضد استعمار استيطاني، وكان لنشاط الفدائي دور كبير في تحقيق هذه الشمولية ودفع سكان المدن للمشاركة في المعركة إلى جانب إخوانهم في الريف، وفي هذا الإطار كان لمدينة الجزائر دورا كبيرا في مسار الثورة التحريرية، حيث كانت من بين المناطق التي شهدت أولى العمليات العسكرية ليلة الو نوفمبر 1954، وقد كان لنشاط الفدائي بمدينة الجزائر آثارا هامة في مسار الثورة الجزائرية عامة، والنشاط الثوري بمدينة الجزائر على وجه الخصوص، ولعل أهمية النشاط الفدائي كانت مرتبطة بأهمية مدينة الجزائر التي حاولت السلطات الفرنسية إبقاءها بعيدة عن المعركة التحريرية.

وبالفعل لقد تمكنت القوات الفرنسية من استحكام سيطرتها على المدينة في بداية الأمر، فإذا استثنينا العمليات الفدائية الأولى التي وقعت في المدينة، فإن هذه الأخيرة قد عاشت نوعا من الهدوء الذي جعلها تشهد هجرات عديدة من قبل المعمرين الذين كانوا يسكنون المناطق المجاورة لها هروبا من لثورة، واعتقد المعمرون أن فرارهم إلى المدن ولا سيما مدينة الجزائر يمكن أن يجعلهم في مأمن من ضربات الثورة التي كانت تتعقب كل معارض لها، أو متعاون مع الاستعمار، بحيث نقلت نشاطها المسلح إلى المدن، الأمر الذي جعل المعمرين أن لا مفر لهم من ضربات الثورة، وتأكدوا أنها ليست عمل عصبة أشرار كما كانت تصفها السلطات الفرنسية، بل ثورة شعب منظم، وفضلا عن ذلك فإن النشاط الفدائي بمدينة الجزائر جعل الفرنسيين يقفون أمام الواقع كما كانت تمارسه السلطات الفرنسية ضد الشعب الجزائر، وفي هذا الإطار لعب الفدائيون دور كبيرا في إرباك السلطات الفرنسية وزرع الرعب في مدينة الجزائر من خلال نشاطهم المحكم والمنظم، وبذلك فقد ضيقوا الخناق على السلطات الفرنسية وأصبحوا يشكلون قوة عسكرية ثانية تواجه قواتها، بحيث استطاع التنظيم الثوري فرض استطاعته على المدينة، وأصبح يقوم بإجراءات موازية لإجراءات السلطات الفرنسية، ونظرا لقوة النشاط الفدائي بالمدينة، فإن أوامر الجبهة كانت مطاعة، فأصبحت هذه الأخيرة فارضة رقابتها على بعض الأحياء لا سيما الأحياء العربية منها يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

قائمة بالمراجع

- **قائمة بالمراجع العربية**

1. الأخضر بوطمين(1948) "جبهة التحرير الوطني وتعبئة الجماهير". – مجلة أول نوفمبر، ع 68.
2. أرنستوغيفارا، (تشي جيفارا) (د–ت) حرب العصابات، ناهض منير الريسي. – بيروت: منشورات دار الأدب.
3. الان، مورجيد(1960) الثورة الروسية، ترجمة عباس حافظ. – القاهرة: مكتبة الأنجلومصرية.
4. بيير هنري سيمون(1957) ضد التعذيب في الجزائر، ترجمة بهيج شعبان. – بيروت: (د–ن).
5. ج، ت، و(198) الملتقى الوطني الثاني لتاريخ الثورة، ج1، مج1. – الجزائر: دار الثورة الإفريقية.
6. جون بول سارتر (د ت) عارنا في الجزائر، ترجمة عايدة وسهيل إدريس. – بيروت: دار الآداب.
7. سعد الله، أبو القاسم (1992) الحركة الوطنية، ج1، القسم الأول م، و، ك، الجزائر.
8. سيمون دي بوفوار، جيزيل حليمي(1962) جميلة بوباشة، ترجمة أحمد النقاش. – بيروت: دار العلم للملايين.
9. عبد القادر يوسفي(1987)."مركز التعذيب وضحايا في الجزائر العاصمة". – مجلة أول نوفمبر. ع نوفمبر.
10. عمار القليل (1987) ملحمة الجزائر الجديدة، ج1. – الجزائر: دار البعث قسنطينة.
11. محمد العربي الزبيري(1984) الثورة الجزائرية في عامها الأول. – الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
12. وزارة الإعلام والثقافة(1979) النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني 1954–1962. – الجزائر: مركب الطباعة برغاية.

- **قائمة بالمراجع الاجنبية**

1. Alistaire Horne, Histoire de la guerre d'Algerie, Ets Albine mecheal, Paris 1980.
2. Edward Beher, dramatique d`Algérie, tra par Michel Deutsch, Ed, Hardder London, 1961.
3. Ferhat, Abbas, Autopsie dune guerre: L`aurore, éditions garnie finers, Paris, 1980.
4. Halid Keramane,la pacification livre noir de six année de guerre de Algérie.Ed,lacite lausane
5. Henri Alleg. La guerre d`Algérie. T2, des promesses de paix a la guerre ouverte,Edition messidon temps actuel, 1981
6. Henri le mire; Histoire de la guerre d`Algérie. Ed, Albin Michel, Paris, 1982
7. Jules Roys, j`acuse le général Massu, édition de Semil, Paris, 1972.
8. Khalfa Mameri , Abane Ramdhane, héros de la guerre d`Algérie , Ed, rahma, Alger, 1992
9. L`écho d`Alger n° : 17-03-1956 et le 20-03-1956
10. L`écho d`Alger n°, 17-04-1955
11. L`écho d`Alger, N° 19/07/1957. p1 voir aussi la dépêche d`Alger N° 8/01/1957
12. Marcel Bijeard , contre Guérilla .imprimerie baconnier frères ; Alger, 1958
13. Mohamed Lebjaoui ,Bataille a`Alger ou bataille d`Algérie .Ed, Gallimard, France, 1972

14. Mohamed Teguia , L`Algérie en guerre, office des publications universitaire : Alger, 1988
15. Mohamed Teguia, L`Algérie en guerre .Ed, OPU, Alger, 1988.
16. Raoul Salon, Mémoires fin d`un empire, T3, L`Algérie française, presses de la cite, Paris, 1972.
17. Roger Trinquier , La guerre moderne. Edition de la table ronde, Paris, 1961
18. saad Dahlab,pour l`indépendance de l`Algérie, Mission accomplie,Ets, dahlab, Alger,1990
19. Yecef Saadi, la bataille d`Alger, t1, édition la phenie Alger, 1986.
20. Yves Couriere, La guerre d`Algérie, t2 le temps des léopards le temps des léopards, Librairie Athene fayar, Paris, 1969.